جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

مباحث في علوم القران

إعداد الدكتوره
وردة عبد الرحمن عبد السميع
مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الواحد والثلاثون، لعام ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم 2012/6157

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد

فإن هذا البحث "**مباحث في علوم القرآن**" كتبته لمعرفة معنى تفسير القرآن وتأويله والمنهج القويم في تفسيره وبعض كتبه سواء كانت في التفسير بالمأثور أو في التفسير بالرأي.

والاستفادة منها ولا شك ان الاهتمام بعلوم القرآن وخاصة علم التفسير"باعتباره أم العلوم القرآنية لما فيه من التعرض لها في كثير من المناسبات عند شرح الكتاب العزيز" [1]

من أشرف العلوم حيث أنه يخدم القرآن الكريم وهو أشرف الكلام.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

وهذا البحث يشتمل على ستة مباحث وخاتمة: -

١- **المبحث الأول:** تعريف التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً والفرق بينهما.

٢- **المبحث الثاني:** المنهج القويم في تفسير القرآن الكريم.

٣- **المبحث الثالث:** نشأة التفسير ومراحله.

٤- **المبحث الرابع:** من أشهر كتب التفسير بالمأثور.

٥- **المبحث الخامس:** من أشهر كتب التفسير بالرأي المحمود.

٦- **المبحث السادس:** التفسير العلمي.

وخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

---

(١) مناهل العرفان/١/٣١/ط. دار إحياء الكتب العربية.

المبحث الأول
معنى التفسير

التفسير في اللغة:

تفعيل من الفسر: وهو البيان والكشف قال ابن منظور [١]: (الفسر) البيان والتفسير مثله وفيى القاموس المحيط، ومختار الصحاح[٢] (الفسر) البيان وكشف المغطى وفعله فسر وبا به ضرب.

والتفسير: كشف المراد عن اللفظ وتوضيح معناه ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٣].

يعني: أحسن بياناً وتفصيلاً[٤].

وقال ابو حيان في تفسيره [٥].

ويطلق التفسير أيضا على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول فسرت الفرس: عريته لينطلق في حصره وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري.

---

(١) لسان العرب لجمال الدين بن منظور مادة – فسر– ج٥ ص٣٤١٢، ٣٤١٣ ط. دار المعارف بدون تاريخ.

(٢) القاموس المحيط للفيروزأبادى: فصل الفاء–باب الراء/٢/ص١١٤/ط. دار الجيل بيروت ومختار الصحاح للرازي –باب الفاء ص٢٣٥ ط. دار المنار.

(٣) سورة الفرقان آية: ٣٣.

(٤) معالم التنزيل للبغوي بهامش تفسير الخازن /م ٣ ج٥ ص ١٠١ ط. دار الفكر ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان: ١/ص٢٦ ط. دار الفكر ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.

ويقال: التفسير – مقلوب سفر، تقول: أسفر الصبح إذا أضاء وقال تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴾ [1]. يعني: أضاء وتبين[2]. ومن هنا يتبين لنا معنى التفسير اللغوي وانه يدور حول الكشف والتوضيح والإبانة.

التفسير في الاصطلاح:

ورد في تعريف التفسير اصطلاحات متعددة من أهمها.

أولاً: ما ذكره أبو حيان حيث قال: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك[3]

معنى التعريف:

"علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هو علم القراءة وقولنا "ومدلولاتها" علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم "وأحكامها الإفرادية والتركيبية" يتناول علوم التصريف والبيان والبديع.

" ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب " يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصد عن الحمل عليه صاد، فيحمل على غيره وهو المجاز.

" وتتمات لذلك " هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك[4].

---

(١) الاتقان للسيوطي: /٢/٢٢١ط. دار عالم المعرفه/ سورة المدثر: من الأيه ٣٤.

(٢) البغوي: م٤/ ج ٧ ص١٧٩.

(٣) البحر المحيط (جـ١ ص٢٦) والاتقان (ج٢ ص٢٢٢) والتفسير والمفسرون للذهبي: ١٦/١ط المختار الإسلامي الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٤) الاتقان ج٢/ ص ٢٢٢ والبحر المحيط لأبى حيان: ٢٦/١.

والملاحظ في هذا التعريف أنه تناول جانب الإعجاز فقط، وتناسى جانب الهداية، والقرآن الكريم كتاب إعجاز وهداية.

ثانياً: ما عرفه الزركشي بأنه: " علم يفهم به كتاب الله – تعالى – المنزل على نبيه محمد (ﷺ).

وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ[1].

والملاحظ عليه أنه لم يذكر جانب المأثور، وإن كان قد ذكره في ثنايا كتابه البرهان تأثراً بشيخه ابن كثير (رحمه الله).

ثالثاً: ما ذكره السيوطي بأنه: "علم نزول الآيات، وشئونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها وخاصها، وعامها ومطلقها، ومقيدها، مجملها، ومفسرها، وحلالها، وحرامها، ووعدها،و وعيدها، وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها[2].

وهذا أتم في الدلالة من سابقيه. وإن كان يتناول مواضيع بعينها.

رابعاً: ما ذكره صاحب مناهل العرفان بقوله: " التفسير علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية[3].

---

(١) البرهان للزركشي: ج١/ص١٣/ط. دار التراث، والاتقان: ج٢ ص٢٢٢، ٢٢٣/ ، والتفسيروالمفسرون للذهبى: ١٦/١.

(٢) الاتقان ج٢ ص٢٢٢/ط. دار عالم المعرفة.

(٣) مناهل العرفان للزرقانى: ج٢ ص ٣/ط. دار إحياء الكتب العربية.

وهذا يتناول التفسير المعقول أكثر من غيره، وهو قسم هام من أقسام التفسير، ويندرج تحته أنواع التفسير بالرأي، والإشاري والأحكام وغيرها.

كما يتناول جانبي الهداية والإعجاز، فإذا ضممناه للتعريف الذى قبله كان أوفى.

معنى التأويل:

التأويل في اللغة.. مأخوذ من الأول.. وهو من الرجوع.

يقال آل.. يؤل – أولاً، مآلاً: يعني: رجع.

والأول عن الشيء بمعنى: الارتداد عنه.

وأول الكلام يعني فسره[1].

وعلى معنى الرجوع والتفسير وردت آيات في القرآن الكريم تضم لفظ التأويل.

فمنها بمعنى التفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [2]. فمعنى ابتغاء تأويله: تفسيره وعلمه.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [3].

يعني تفسيره والمعنى: وما يعلم تفسيره إلا الله والراسخون في العلم يعلمون تفسيره، ولذا كان الوقف على هذا المعنى على قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾.

---

(١) الاتقان ج٢ ص٢٢٢.

(٢) راجع تفسير البغوي بهامش الخازن: ج١ ص ٣٢١، وتفسير الخازن: ١/ ص٣٢١ ومختار الصحاح للرازى: باب الهمزة ص٣٧/ ط. دا ر المنار.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

ومنه قوله تعالى: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [١].

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾ [٤].

ومنها بمعنى المآل والمرجع – مثل قوله تعالى: ﴿ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [٥]. يعني أحسن مآلاً وعاقبة.

وقيل التأويل [٦]: مأخوذ من الإيالة، وهي السياسة: فكأن المؤول للكلام- ساس الكلام

ووضع المعنى فيه موضعه ومنه حسن الإيالة. يعني حسن السياسة.

---

(١) سورة الكهف: الآية: ٧٨.

(٢) سورة الكهف: الآية: ٨٢.

(٣) سورة يوسف: الآية: ٣٦.

(٤) سورة يوسف: الآية: ١٠٠.

(٥) سورة النساء الآية ٥٩. والمعنى عند البغوى: ج١/٥٥٢ والخازن: ١/٥٥٢.

(٦) راجع مختار الصحاح للرازى : باب الهمزة ص٣٧. والاتقان: ج٢/ ص٢٢٢. والمفردات فى غريب القرآن للأصفهانى: كتاب الألف /ص٣٢،٣١/ ط دار المعرفة.

التأويل في الاصطلاح:

التأويل في اصطلاح السلف: له معنيان:

١- تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أم خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربين أو مترادفين. وهذا الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله وهم مع علمهم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، وبه قال الربيع بن أنس وعليه فالوقف في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ ، وعلى هذا يكون قوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حالاً من الراسخين في العلم فقط، لا ترجع إلى المعطوف عليه. ويكون معناه: والراسخون في العلم مع علمهم قائلين آمنا به[١] وروى ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه كان يقول في هذه الآية: " أنا من الراسخين في العلم "[٢] وقال مجاهد " أنا ممن يعلم تأويله[٣]. وهذا ما عناه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (رحمه الله) في تفسيره. إذ يقول عند تفسيره الآية: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا يعني تفسيره. واختلف أهل التأويل في هذه الآية و نحو ذلك. ومراده التفسير[٤].

٢- التأويل: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله و التأويل نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً، كان تأويله نفس الشيء المخبر به: نفس الأمور الموجودة بالخارج، مما هي عليه من صفاتها و شئونها و أحوالها.

---

(١) البغوي ج١/ص٣٢١ وابن كثير: ج١/ص٣٢٨.

(٢) أورده ابن كثير فى تفسيره عند تفسيره للآية (٧) من آل عمران / ج ١/ص٣٢٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) التفسير والمفسرون للذهبى: ج١/ص١٩.

وتلك الحقائق لا تعرف على ما هي عليه بمجرد الكلام و الأخبار إلا أن يكون المستمع قد تصورها، أو تصور نظيرها، بغير كلام وإخبار، لكن يعرف من صفاتها وأحوالها قدر ما أفهمه المخاطب، إما بضرب المثل، وإما بالتقريب، وإما بالقدر المشترك بينها وبين غيرها، وإما بغير ذلك.

وهذا المعنى للتأويل..... قال به شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) وقال عنه: هو لغة القرآن التي نزل بها... وقد قسم (رحمه الله) الكلام إلى نوعين: إنشاء فيه أمر وإخبار.

فتأويل الأمر: هو نفس الفعل المأمور به، كما قال من السلف إن السنة هي تأويل الأمر.

قالت عائشة (رضي الله عنها) كان رسول الله (ﷺ) يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، تأول القرآن "[1] تعني قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ وإما الإخبار: فتأويله عين المخبر به إذا وقع.

وقد جاء اسم التأويل في القرآن في غير موضع. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [2]

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه بشرح العسقلانى: ج٨/ ح ٤٩٦٨/ كتاب التفسير/باب سورة (اذا جاء نصر الله) بسم الله الرحمن الرحيم/ ص٦٠٥/ ط دار الريان. وأخرجه ابو داود فى سننه: كتاب الصلاة / باب فى الدعاء فى الركوع والسجود/ ح٨٧٧/ج١/ ص٣٣٣-٣٣٤/ط. دار الفكر ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٢) سورة الأعراف: الآيتان ٥٢،٥٣.

فقوله في ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ وإنما ذلك مجيء ما أخبر به القرآن بوقوعه من القيامة، وأشراطها، كالدابة، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها ومجيء ربك والملك صفاً صفاً، وما في الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار، وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك.

والتأويل في عرف المتأخرين كالمعتزلة: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذى يتكلمون عليه فى أصول الفقه ومسائل الخلاف. فاذا قال أحد منهم: هذا الحديث – أو هذا النص– مؤول أومحمول على كذا. قال الآخر: هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلى دليل. وعلى هذا فالمتأول مطالب بأمرين:

الأمر الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد.

الأمر الثاني: أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح، وإلا كان تأويلاً فاسداً، أو تلاعباً بالنصوص.

قال في جمع الجوامع وشرحه: " التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل عليه لدليل فصحيح، أو لما يظن دليلاً في الواقع ففاسد، أو لا شيء فلعب لا تأويل"[1].

آراء العلماء في التفسير والتأويل والفرق بينهما

١– قال أبو عبيدة وطائفة معه: " التفسير والتأويل بمعنى واحد " فهما مترادفان. وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

٢– قال الراغب الأصفهاني: " التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا. والتأويل يستعمل

(١) التفسير والمفسرون الذهبي ج١ ص ١٩–٢٠.

أكثره في الكتب الإلهية. والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ. والتأويل أكثره يستعمل في الجمل، فالتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كـ " البحيرة والسائبة والوصيلة " أو في تبيين المراد وشرحه كقوله تعالى في الآية: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [1] وإما في الكلام مضمن بقصة لا يمكن تصوره إلا بمعرفتها نحو قوله تعالى في الآية من سورة التوبة: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ [2] وقوله تعالى في الآية من سورة البقرة ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ [3]. وأما التأويل: فإنه يستعمل مرة عاماً، ومرة خاصاً، نحو ﴿ ٱلْكُفْرِ ﴾ المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة. و " الإيمان " المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق دين الحق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو لفظ " وجد " في الجد والوجد والوجود.[4]

٣- قال أبو طالب الثعلبي: [5]" التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير " الصراط " بالطريق، و " الصيب " بالمطر. والتأويل تفسير باطن

(١) سورة البقرة: من الآية ٤٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٧.

(٣) سورة البقرة: ١٨٩.

(٤) راجع التفسير والمفسرون للذهبى: ج١/ ص٢١. والمفردات فى غريب القرآن للأصفهاني: كتاب الفاء/ص٣٨٠ والاتقان للسيوطي ٢٢٢/٢٠- بتصرف.

(٥) التفسير والمفسرون للذهبى: ج١/ ص٢٢، والاتقان للسيوطى: ج٢/ ص٢٢١-٢٢٢ بتصرف.

اللفظ، مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [1] تفسيره أنه من الرصد، يقال: رصدته: رقبته، والمرصاد مفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه.

٤- قال بعضهم: التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال: هو أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية، وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان. والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله (ﷺ) أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله (ﷺ) ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم. وأما التأويل.. فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل. والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك.

قال الزركشي: وكأن السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل والتمييز بين المنقول والمستنبط ليحمل على الاعتماد في المنقول وعلى النظر في المستنبط أ. هـ[2].

---

(١) سورة الفجر: الآية ١٤.

(٢) الاتقان: ج٢ ص ٢٢٢، والتفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٢٢-٢٣.

المبحث الثاني

المنهج القويم في تفسير القرآن الكريم

يجب على من يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يطلب تفسيره أولاً من القرآن نفسه فإن لم يجد فيطلبه فيما صح ثبوته في السنة، فإن لم يجد فليطلبه في أقوال الصحابة وليتحاشى الضعيف، والموضوع والإسرائيليات، فإن لم يجد في أقوال الصحابة، فليطلبه في أقوال التابعين وإن اتفقوا على شيء كان ذلك له أمارة – غالباً – عن تلقين الصحابة، وإن اختلفوا: تخير من أقوالهم، ورجح ما يشهد له الدليل، فإن لم يجد في أقوالهم ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية لكونه ضعيفاً أو موضوعاً، أو من الإسرائيليات التي حملوها عن أهل الكتاب الذين أسلموا: فليجتهد رأيه ولا يألوا – أي لا يقصر – إذا استكمل أدوات الاجتهاد وعليه أن يراعي القواعد الآتية:

١- أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر وأن يتحرز في ذلك من نقص عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض.

٢- أن يعنى بأسباب النزول، فإن أسباب النزول كثيراً ما تعين على فهم المراد من الآية.

٣- أن يعني بذكر المناسبات بين الآيات، لأن في ذلك الإفصاح عن خصيصة من خصائص القرآن الكريم وهي، الإعجاز اذ للمناسبات في الكشف عن أسرار الإعجاز ضلع كبير.

٤- أن يجرد نفسه من الميل إلى مذهب بعينه، حتى لا يحمله ذلك على تفسير القرآن على حسب رأيه ومذهبه، ولا يزيغ بالقرآن عن منهجه الواضح وطريقه المستقيم.

٥- مراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، حتى لا يصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه إلا بصارف، وليقدم الحقيقة الشرعية على اللغوية وكذلك الحقيقة العرفية، وليراع حمل كلام الله على معان جديدة أولى من حمله على التأكيد، وليراع الفروق بين الألفاظ.

٦- مراعاة تأليف الكلام، والغرض الذي سيق له، فإن ذلك يعينه على فهم المعنى المراد، وإصابة الصواب، قال الزركشي في البرهان ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز.....

وقال أيضاً: على المفسر مراعاة مجازي الاستعمالات في الألفاظ التي يظن بها الترادف والقطع بعدم الترادف ما أمكن فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد[1].

٧- يجب على المفسر البداءة بما يتعلق بالمفردات، وتحقيق معانيها، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب إن كان خفياً ثم ما يتعلق بالمعانى، ثم البيان والآداب، وليراع القصد فيما يذكر من لغويات أو نحويات، أو بلاغيات، أو أحكام، حتى لا يغير ذلك على جوهر التفسير.

٨- التحاشي عن ذكر الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، والروايات المدسوسة: من الإسرائيليات ونحوها حتى لا يقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين السابقين من الموضوعات، والإسرائيليات في أسباب النزول، وقصص الأنبياء والسابقين، وبدأ الخلق والمعاد ونحوها. ومن هنا: يتبين لنا صلة هذا الموضوع بالبحث الذي هو مقصود من هذا الكتاب.

---

(١) الإتقان ج٢ / ٢٣٧ ، ٢٣٨ بتصرف.

العلوم التى يحتا ج اليها المفسر:

واليك ما قاله السيوطي في الإتقان:

• وقال بعض العلماء اختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه ؟ فقال قوم لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسماً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روى عن النبي (ﷺ) في ذلك ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي **خمسة عشر علماً:**

أحدها: اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع قال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب.

الثاني: النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته فقال: حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيي بوجهها، فيهلك فيها.

أقول: ومن لم يعرف النحو فربما يقع في أخطاء فاحشة، وقد تؤدي إلى الكفر، وذلك مثل الرجل الذي قرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ "بجر" رسوله " فكاد يقع في الكفر وهو لا يعلم، فكان هذا من الأسباب الحاملة على وضع علم النحو(١).

الثالث: علم التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ قال ابن فارس ومن فاته علمه فاته المعظم.

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي ج١٠ ص ٤٧.

قال الزمخشري من بدع التفاسير قول من قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، دون آبائهم قال: وهذا جهل أوجبه جهله بالتصريف فإنه أما لا تجمع على إمام.

الرابع: علم الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح فمن **الأول:** سمى المسيح مسيحاً لكثرة سياحته وأما **الثاني:** فلأنه كان لا يمسح على ذي عاهة إلا برأ بإذن الله تعالى ومثل ذلك أيضاً النبي، أهو من النبأ بمعنى الخبر، فهو مخبر بكسر الباء عن الله، أو مخبر بفتح الباء منه[1] أو هو من النبو بمعنى الرفعة، وليس من شك في أن المعنى يتغير بتغير أصل الاشتقاق.

الخامس والسادس والسابع: علوم المعاني والبيان والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر،لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.

وقال السكاكي: أعلم أن شان الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا التمرن على علمي المعاني والبيان.

وما أحسن ما قاله ابن أبي الحديد في هذا، قال: أعلم أن معرفة الفصيح، والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة

(١) فهو على الأول فعيل بمعنى فاعل، وعلى الثاني فعيل بمعنى مفعول.

الدلالة عليه وهو بمنزلة حارتين: إحداهما بيضاء مشربة بحمرة، دقيقة الشفتين دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن، لكنها أحلى في العيون والقلوب منها، ولا يدري سبب ذلك، ولكنه يعرف بالذوق والمشاهد ولا يمكن تعليله، وهكذا الكلام !! نعم يبقى الفرق بين الوصفين أن حسن الوجوه، وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة، وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض.

وقال الزمخشري من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح[1].

الثامن: علم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن الكريم، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى فمفسر القرآن يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز له (ﷻ).

العاشر: علم أصول الفقه، لأن به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام وطريقة استنباطها من الآيات القرآنية.

---

(١) الإتقان: ٢/٢٣١ ، ٢٣٢ بتصرف.

الحادي عشر: علم أسباب النزول وعلم القصص والأخبار لأن معرفة سبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه، كما أنه يزيل الإشكال عن بعضها، ويتبين بعض حكم الله في التشريع، وبعلم القصص يعلم ما هو من الإسرائيليات التي درست في الرواية الإسلامية، وما ليس منها وما هو بحق وما هو بباطل.

الثاني عشر: علم الناسخ والمنسوخ، وهو مهم للمفسر، وإلا وقع في خطأ كبير إذ به يعرف المحكم من غيره.

الثالث عشر: علم الفقه إذ به يعرف مذاهب الفقهاء، ومن احتج منهم بالآية ومن لم يحتج بها، وطريقة كل منهم في فهم كل آية والأخذ بها، أو الإجابة عنها. كما يعرف به الفرض والواجب والسنة والنقل.

الرابع عشر: علم الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وتخصيص العام، وتقييد المطلق إلى غير ذلك، من وجوه بيان السنة للقرآن الكريم.

الخامس عشر: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله – تعالى – لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بقوله– تعا لى–﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1]

قال ابن أبي الدنيا وعلوم القرآن، وما يستنبط منه بحر لا ساحل له.

قال فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه، قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

واستفادوا العلوم الأخرى من النبي (ﷺ) قال الإمام السيوطي: ولعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان وليس كما ظننت من الإشكال، والطريقة في تحصيله: ارتكاب الأسباب الموجبة من العمل والزهد.

قال الزركشي في البرهان: أعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدع، أو كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو وهو مصر على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله وهذه كلها حجب، وموانع بعضها آكد من بعض.

قال السيوطي: ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [1] قال سفيان بن عيينة يقول: أنزع عنهم فهم القرآن أخرجه ابن أبي حاتم[2].

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٦.

(٢) الإتقان: ٢/٢٣١ ، ٢٣٢ بتصرف والتفسير والمفسرون للذهبى: ج١ / ص٢٥٥: ٢٥٧ بتصرف.

المبحث الثالث
نشأة التفسير ومراحله

لقد مر التفسير بمرحلتي الرواية والتدوين:

أولاً مرحلة الرواية: وتتمثل في:

التفسير في عهد النبي (ﷺ)

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا يفهمونه، ويدركون أغراضه ومراميه وإن تفاوتوا في هذا الفهم والإدراك تبعاً لاختلاف درجاتهم العلمية ومواهبهم العقلية.

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم – إذا أشكل عليهم معنى من معاني القرآن لجئوا الى رسول الله (ﷺ) فيوضحه لهم كما قال – تعا لى– ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فمن ذلك ما رواه البخا رى فى صحيحه: عن عبد الله (رضي الله عنه) قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله (ﷺ) وقالوا أينا لم يلبس ايما نه بظلم ؟ قال رسول الله (ﷺ):" انه ليس بذلك تعنون ألا تسمعوا الى قول لقمان لابنه: ان الشرك لظلم عظيم ؟ "[2].

---

(١) سورة النحل: آية ٤٤.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه بشرح ابن حجر العسقلانى: كتاب التفسير/ باب (لاتشرك بالله. ان الشرك لظلم عظيم) / ح٤٧٧٦/ ج٨/ ٣٧٢-٣٧٣/ ط دار الريان للتراث. والآية الأولى من سورة الأنعام: الآية ٨٢. والآية الثانية من سورة لقمان: الآية ١٣.

ومن بيان السنة أيضاً وما رواه الترمذي[١]: عن سمرة بن جندب، أن نبى الله (ﷺ) قال الصلاة الوسطى صلاة العصر. وما أخرجه أيضا عن عقبة بن عامر: أن رسول الله (ﷺ) قال وهو على المنبر: " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " ألا وان القوة الرمي ثلاث مرات.[٢]

وكذلك ما رواه الترمذي عن على قال: سألت رسول الله (ﷺ) عن يوم الحج الأكبر فقال: " يوم النحر "[٣]. وما رواه عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه عن النبى (ﷺ) "وألزمهم كلمة التقوى " قال: لا إله إلا الله "[٤].

وما أخرجه البخارى والترمذى [٥]عن أنس (انا أعطيناك الكوثر) أن النبى (ﷺ) قال: " هو نهر أعطانيه ربي في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ. قلت: ما هذا يا

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه: كتاب تفسير القرآن / باب ومن سورة البقرة / ح ٢٩٨٣/ ج٥ /ص ٢١٧/ط دار الحديث.

(٢) أ خرجه الترمذى فى سننه: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة الأ نفال /ح ٣٠٨٣/ج٥/ص٢٧٠. ط/دار الحديث. وقال الترمذى عنه: حديث وكيع أصح.

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة التوبة /ح ٣٠٨٨/ج٥/ص٢٧٤. وقال الترمذى عنه: لا نعلم أحدا رفعه الا ما روى عن محمد بن اسحاق. والأصح كونه موقوفا عن على (رضي الله عنه).

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة الفتح/ح٣٢٦٥/ج٥/ ص٣٨٦.

وقال الترمذى عنه: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من حديث الحسن بن قزعة. والآية"٢٦" من سورة الفتح.

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه بشرح العسقلانى: كتاب التفسير/باب (١٠٨) سورة "إنا أعطيناك الكوثر" /ح٤٩٦٤ وبنحوه موقوفا عن عائشة/ح٤٩٦٥، وموقوفا عن ابن عباس/ح٤٩٦٦/ج٨/ص٦٠٣. وأخرجه الترمذى واللفظ له فى كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة الكوثر/ح٣٣٥٩/ج٥/ ٤٤٩.

جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى قد أعطا كه الله". وغير ذلك مما صح عن رسول الله (ﷺ).

" وفي صحيح البخاري كتابان هما: كتاب تفسير القرآن وكتاب فضائل القرآن، يشغلان حيزاً واضحاً من الكتاب ربما كان نحو الثمن منه

وقد اختلف العلماء في المقدار الذي بينه النبي (ﷺ) لأصحابه من القرآن. فمنهم من ذهب إلى أنه (ﷺ) بين لأصحا به كل معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه [1]

ومنهم من ذهب إلى أنه لم يبين لأصحابه من معاني القرآن إلا القليل [2] وقد استدل كل فريق لرأيه بعدد من الأدلة[3].

والحق أن رسول الله (ﷺ) بين الكثير من معاني القرآن لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبين كل معاني القرآن لأن من القرآن ما استأثر الله (ﷻ) بعلمه، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتهم، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته.

قال ابن عباس: " التفسير على أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.[4]

ولعل الروعة الدينية لهذا العهد، والمستوى العقلي لأهله ووضوح حاجات حياتهم العملية، وتطبيق الرسول (ﷺ) للقرآن تطبيقاً عملياً في حياته حتى قالت

(١) راجع الاتقان للسيوطى: ٢/٢٢٦.

(٢) المرجع السابق: ٢/ص٢٢٣.

(٣) الإتقان ٢/٢٢٦. والتفسيروالمفسرون للذهبى: ١/٥٢،٥١. وفي أدلة الفريق الآخر انظر القرطبي ١/ص ٢٧: ٣٤. ط/ النور الاسلامية. والإتقان: ٢/ص٢٢٤،٢٢٣.

(٤) الإتقان للسيوطى: ٢/٢٣٢.

السيدة عائشة (رضي الله عنها): "كان خلقه القرآن" [1]، كل هذا جعل حاجتهم إلى التفسير غير كبيرة، خصوصاً أنهم كانوا يعيشون في معاني القرآن ويتسابقون إلى العمل بآياته قبل أن يحفظوا الجديد منها إلى جوار بيان الرسول (ﷺ) لمجمل القرآن وتوضيحه لمشكله، وتخصيصه لعامة، وتقييده لمطلقه، فمن ذلك بيانه المواقيت للصلوات الخمس وعدد ركعاتها وكيفيتها وبيانه لمقادير الزكاة وأوقاتها وأنواعها، وبيانه لمناسك الحج.

فكان القدوة الحسنة في السلوك القرآني والتطبيق العملي لأوامر القرآن ولذا ورد في الحديث: "صلوا كما رأيتموني أصلي". "[2]

ومن توضيح المشكل تفسيره (ﷺ) للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. بأنه بياض النهار وسواد الليل. "[3]

ومن تقييد المطلق، تقييده (ﷺ) اليد التى تقطع فى حد السرقة باليمنى، فقد وردت فى القرآن على اطلاقها وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾

(١) هذا الحديث جزء من حديث طويل أخرجه مسلم فى صحيحه عن سعد بن هشام: كتاب صلاة المسافرين وقصرها /باب جامع صلاة الليل /مجلد ٢/ج٦/ص٢٦. وأخرجه النسائى فى سننه: كتاب قيام الليل وتطوع النهار/باب قيام الليل/مجلد٢/ ج٣/ص١٩٩.

(٢) هذ ا الحديث جزء من حديث طويل أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى سليمان مالك بن الحويرث: كتاب الأدب /باب رحمة الناس والبهائم /ح٦٠٠٨/ج١٠/ص٤٥٢.

(٣) أخرجه البخارى عن عدى بن حاتم: فى كتا ب التفسير/باب "وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.....-الى قوله تتقون- ح٤٥١٠/ج٨/ص٣١. والآية ١٨٧من سورة البقرة.

وقيدتها السنة باليمنى حيث قال (ﷺ) "اقطعوا يدها اليمنى "[1] وكان (ﷺ) يبين لهم معاني القرآن وأهدافه، وروحه العامة، في سفره وإقامته، وحربه وسلمه، وغزوه وجهاده.

التفسير في عهد الصحابة:

اعتنى الصحابة (رضي الله عنهم) بالقرآن الكريم وأولوه جل عنايتهم واهتمامهم. ونظراً لقوة فهمهم، وسعة إدراكهم ومعرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها، وأحوال الناس وعاداتهم، جعلهم يستوعبون ما في القرآن من معاني وأحكام، ولذلك ما احتاجوا إلى طلب تفسيرها والسؤال عنها.

- إلا أن الصحابة أنفسهم متفاوتون في فهم القرآن، تبعاً لتفاوتهم في المواهب والاطلاع على لغتهم وأدبها ولهجاتها، ومعرفة أسباب النزول وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[2]، قال السيوطي في الإتقان[3] " ولقد اشتهر بالتفسير من الصحابة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وهناك من تكلم من الصحابة في التفسير كأبي هريرة (ت ٥٧ هـ) وجابر بن عبد الله (ت ٧٤ هـ) وعبد الله بن عمر (ت ٧٣ هـ) وعبد الله بن عمرو بن

---

(١) هذا الحديث جزء من حديث طويل رواه الطبرى فى تفسيره بسنده عن عبد الله بن عمروا (رضي الله عنهما) ج٦/ص١٣٣/ط دار المعارف ١٩٥٧. وأوردها بن كثير فى تفسيره للآية ٣٨ من سورة المائدة: ج٢/ص٥٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

(٣) الإتقان للسيوطي ٢/٢٣٩.

العاص (ت ٦٣ هـ) وأنس بن مالك (ت ٩١ هـ) غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جداً بالنسبة للعشرة الذين سبق ذكرهم[١].

• وأكثر الصحابة اشتغالاً بالتفسير وممارسة له أربعة وهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب (ﷺ).

ويمتاز التفسير في عهدي الرسول وصحابته بما يلي: -

أولاً: لم يفسر القرآن كله كما تقدم وإنما فسر البعض منه وهو ما غمض فهمه وهذا الغموض كان يزداد كلما بعد الناس عن عصر النبي (ﷺ).

ثانياً: قلة الاختلاف بينهم في فهم معانيه وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

ثالثاً: كانوا كثيراً ما يكتفون بالمعنى الإجمالي ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معانيه تفصيلاً ولذلك كانوا كثيراً ما يتوقفون في معان بعض الآيات كما توقف الصديق وعمر (ﷺ) في قوله تعالى:﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾.

رابعاً: الاقتصار على توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه بأخصر لفظ مثل قولهم: ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ﴾ [٢].

أي غير متعرض لمعصية فإن زادوا على ذلك فمما عرفوه من أسباب النزول.

خامساً: قلة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية وعدم وجود الانتصار للمذاهب الدينية بما جاء في كتاب الله نظراً لاتحادهم في العقيدة ولأن الاختلاف المذهبي لم يقم إلا بعد عصر الصحابة (ﷺ).

---

(١) والإتقان ٢٤٢/٢ (بتصرف).

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

سادساً: لم يدون شيء من التفسير في هذا العصر لأن التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني الهجرى.

سابعاً: كان التفسير في هذه المرحلة يعد باباً من أبواب الحديث، ولم يتخذ له شكلاً مستقلاً حتى إن صحيفة علي بن أبي طلحة التي رواها في التفسير اتخذت شكل رواية الحديث ورواها البخاري من هذا الجانب(١).

التفسير في عهد التابعين:

لما انقضى عصر الصحابة أو كاد وصار الأمر إلى تابعيهم الذين تتلمذوا للصحابة وانتشر الإسلام واتسعت الأمصار وتفرقت الصحابة في الأقطار وحدثت الفتن واختلفت الآراء وكثرت الفتاوى اعتمد هؤلاء المفسرون من التابعين في فهمهم لكتاب الله على ما جاء في الكتاب نفسه وعلى ما رواه الصحابة عن رسول الله (ﷺ) وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله – تعالى – وكان أعلم التابعين في التفسير سعيد بن جبير نص على ذلك قتادة وحكاه السيوطي في الإتقان كما نسب تدوين التفسير إلى مجاهد: قال ابن أبي ملكيه: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول: ابن عباس: اكتب قال: حتى سأله عن التفسير كله "(٢).

(١) انظر التفسير والمفسرون الذهبي جـ ١ ص ٩٧ – ٩٨ بتصرف.

(٢) ابن جرير: ٣٠/١ والإتقان للسيوطي ٢٤٣/٢ والتفسير والمفسرون للذهبي: ١٠١/١.

وتميزت في عصر التابعين ثلاث مدارس في التفسير:

١- مدرسة مكة: وأصحابها تلاميذ ابن عباس (ﷺ)، ومنهم أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المتوفى سنة ١٠٤ هـ، حكى عن نفسه أنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وقد اعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري.

وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى سنة ١٠٤ هـ، وطاووس بن كيسان اليماني المتوفى بمكة سنة ١٠٦ هـ. وعطاء بن أبي رباح المكي المتوفى سنة ١١٤ هـ.

٢- ومدرسة العراق: وأصحابها تلاميذ ابن مسعود ومنهم: علقمة بن قيس المتوفى سنة ٦١ هـ أو ٦٢ هـ. ومسروق ابن الأجدع الكوفي المتوفى سنة ٦٣ هـ. والأسود بن يزيد المتوفى سنة ٧٥ هـ، وعامر الشعبي المتوفى سنة ١٠٩ هـ، والحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ هـ، وقتادة ابن دعامة السدودي البصري المتوفى سنة ١١٧ هـ.

٣- ومدرسة المدينة: ورجالها تلاميذ أبي ابن كعب، وأصحاب زيد بن أسلم المتوفى سنة ١٣٦ هـ، ومنهم أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي المتوفى سنة ٩٠ هـ. ومحمد بن كعب القرظي المتوفى سنة ١١٨ هـ[١].

وتفسير التابعي يؤخذ به عند ما تتوفر فيه الشروط الآتية:

١- أن يكون منتسباً لمدرسة علم من أعلام الصحابة (ﷺ) في التفسير، مثل مدرسة ابن عباس، وابن مسعود، وأبي ابن كعب (ﷺ). وقد سبق ذكر أسماءهم.

٢- أن يكون تفسيره مما لا مجال للرأي فيه.

---

(١) راجع الإتقان للسيوطي: ٢٤٢/٢، والتفسير والمفسرون للذهبي: ١٠٤/١: ١٢٨ باختصار وتصرف.

٣- أن لا يقع الخلاف بين التابعين على قوله في التفسير فإذا اختلفوا في التفسير فلا يجب الأخذ به، وإنما يجوز تركه يعني أن يكون من المجمع على قوله.

٤- أن لا يصادم نصاً من القرآن والسنة.

٥- أن لا يكون معروفاً بكثرة مجالسة أهل الكتاب ولا كثرة النقل عنهم فإن عرف عنه ذلك. فعلينا أن نترك قوله: فإن استوفى التابعي هذه الشروط، أخذنا عنه وقبلنا قوله، ورويناه وثبتت به الحجة والله أعلم[١].

مميزات التفسير في عصر التابعين:

أولاً: دخل التفسير كثير من الإسرائيليات وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام وكان لا يزال عالقاً بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بأحكام الشريعة كأخبار بدء الخليقة وأسرار الوجود وكثير من القصص وكانت النفوس ميالة لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن الكريم من أحداث يهودية أو نصرانية فتساهل بعض التابعين فزجوا في التفسير بكثير من الإسرائيليات بدون تحرى لحسن النية فيما نقلوا.

ثانياً: ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقي و الرواية إلا انه لم يكن تلقيا ورواية بالمعنى العام كما هو الحال في عصره (ﷺ) و أصحابه و إنما أخذت الرواية والتلقي طابع الاختصاص و المدارس فأهل كل مدرسة ومصر يتلقون عن مدرستهم و إمامهم فالمكيون مثلاً يروون عن ابن عباس (رضي الله عنهما).

ثالثاً: ظهرت في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي فظهرت بعض تفسيرات تحمل في طياتها هذه المذاهب فنجد مثلاً قتادة بن دعامة السدوسي ينسب إلى

(١) الفتح المبين في منهاج المفسرين للدكتور / سمير عبد العزيز شليوه: ٩٥.

الخوض في القدر ويتهم بأنه قدري وكذا وهب بن منبه قبل أن يرجع عنه ويتوب ونجد الحسن البصري قد فسر القرآن على إثبات القدر ويكفر من كذب به.

رابعاً: كثرة الخلاف بين التابعين في التفسير أكثر مما كان في عصر الصحابة (ﷺ) وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من العصور والأزمان[1].

ثانياً: مرحلة التدوين:

بعد عهد التابعين اتجهت الهمم إلى جمع ما أثر من التفسير عن رسول الله (ﷺ) وعن صحابته وعن التابعين بدون تفرقة بين المدارس الثلاث التي امتازت في عصر التابعين بروايات مخصوصة فدونوا علم التفسير في الكتب الصغار والكبار صارت كتبهم أجمع للعلم من الكتب السابقة و اشتهر من بينهم:

مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ، و شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ، و سفيان بن سعيد الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ و وكيع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧ هـ و سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ هـ و يزيد بن هارون المتوفى سنة ١١٧ هـ وروح بن عبادة البصري المتوفى سنة ٢٠٥ هـ. عبد الرازق بن همام الصنعاني شيخ الإمام البخاري في الحديث المتوفى سنة ٢١١ هـ و آدم بن أبي أياس العسقلاني المتوفى سنة ٢٢٠ هـ وآخرون وبعدهم ابن جرير الطبري ثم ابن أبي حاتم وابن ماجه والحاكم وابن حبان وابن المنذر وكلها مسنده على الصحابة والتابعين وأتباعهم وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد فدخل من هنا الدخيل

(١) راجع التفسير والمفسرون للذهبي: ١٣٢/١.

والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسغ له قول يورده ومن يخطر ببالـــه شيء يعتمده[1].

فمرحلة التدوين بدأت من نهاية القرن الأول و بداية القرن الثاني الهجريين أي أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين وفيها خطا التفـــسير خطـــوات متعددة لكل منها سماتها ومميزاتها.

فأول خطـــوة: كانت مع ابتداء التدوين لحديث رسول الله (ﷺ) فكانت أبواب الحديث متنوعة وكان التفسير باباً من هذه الأبواب ولم يفرد له تـــأليف خـــاص يفسر القرآن سورة سورة وآية آية بل وجد من العلماء من طوف في الأمـــصار المختلفة ليجمع الحديث فجمع بجوار ذلك ما روى في الأمـــصار مـــن تفـــسير منسوب إلى النبي (ﷺ) أو إلى الصحابة أو إلى التابعين ومن هؤلاء يزيـــد بـــن هارون السلمي المتوفى سنة ١١٧ هـــ و شعبه بن الحجاج المتوفى ســـنة ١٦٠ هـــ وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ هـــ.....

وهؤلاء جميعاً كانوا من أئمة الحديث وكان جمعهم للتفسير جمعاً لباب مـــن أبواب الحديث ولم يكن جمعاً للتفسير على أنه علم مستقل قائم بذاته.

ثم جاءت الخطوة الثانية: وفيها انفصل التفسير عن الحديث وأصبح علمـــاً قائماً بنفسه فوضع التفسير لكل آية من القرآن، ورتب ذلك على حسب ترتيـــب المصحف. وتم هذا العمل على أيدي جماعة من العلماء منهم ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـــ، وابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـــ، وابن أبـــي حـــاتم المتوفى سنة ٣٢٧ هـــ، وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله (ﷺ) وإلى الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وليس فيها شيء يذكر في التفسير أكثر من

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/٢٤٣.

التفسير المأثور، اللهم إلا ابن جرير الطبري فإنه ذكر الأقوال ثم وجهها، ورجح بعضها على بعض، وزاد على ذلك الإعراب إن دعت إليه حاجة، واستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من النص القرآني.

ثم جاءت الخطوة الثالثة: وفيها لم يخرج التفسير عن حدود التفسير بالمأثور ولكنه خرج عن طابعه المألوف من قبل وهو تدوين المأثورات بأسانيدها فوجدنا من العلماء من اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن يسندوها لقائليها فدخل الوضع في التفسير والتبسوا الصحيح بالعليل وكان هذا مبدأ ظهور الوضع في التفسير وتطرق الروايات الإسرائيلية إليه.

ثم جاءت الخطوة الرابعة: وهي أوسع الخطى وأفسحها فبعد أن كان التفسير مقصوراً على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة وجدناه يتجاوز بهذه الخطوة إلى تدوين تفاسير اختلط فيها الفهم العقلي بالتفسير النقلي وكان ذلك على تدرج ملحوظ فقد بدأ أولاً على هيئة محاولات فهم شخصي وترجيح بعض الأقوال على بعض وكان هذا أمراً مقبولاً ما دام يرجح الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية..... ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصي تزداد وتتضخم متأثرة بالمعارف المختلفة والعلوم المتنوعة والآراء المتشعبة والعقائد المتباينة حتى وجد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بعد عظيم. دونت علوم اللغة ودون النحو والصرف وترجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة وتشعبت مذاهب الخلاف الفقهي والعقدي ودون فيها من الكتب ما شاء الله أن يدون وظهر التعصب المذهبي قائماً على ساقه وقدمه في العصر العباسي وقامت الفرق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة لها.... وكان من نتيجة ذلك كله أن امتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير

حتى طغت عليه وغلب الجانب العقلي على الجانب النقلي، وصار أظهر شيء في هذه الكتب، هو الناحية العقلية، وإن كانت لا تخلو مع ذلك من منقول يتصل بأسباب النزول، أو بغير ذلك على المأثور. وهكذا تدرج التفسير، واتجهت الكتب المؤلفة فيه اتجاهات متنوعة، وتحكمت الاصطلاحات العلمية، والعقائد المذهبية في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار التصوف واضحة فيه، وكما ظهرت آثار النحل والأهواء فيه ظهوراً جلياً.

وإنا لنلحظ في وضوح وجلاء: أن كل من برع في فن من فنون العلم، يكاد يقتصر تفسيره على ذلك الفن الذي برع فيه، فالنحوي تراه لا هم له إلا الإعراب وذكر ما يحتمل في ذلك من أوجه، وتراه ينقل مسائل النحو وفروعه وخلافياته، وذلك كالزجاج، والواحدي في " البسيط "، وأبي حيان في " البحر المحيط ".

وصاحب العلوم العقلية، تراه يعني في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، كما تراه يعني بذكر شبههم والرد عليهم، وذلك كالفخر الرازي في كتابه "مفاتيح الغيب".

والفقيه: مبلغ همه واهتمامه مسائل الفقه وتعريفاتها وذكر أدلتها كالجصاص وأبي بكر بن العربي وصاحب التاريخ: يكثر من ذكر القصص وأخبار من سلف وكثيراً ما يخلط الصحيح منها بالأساطير والخرافات كما في تفسير الثعلبي والخازن..... وأصحاب المذاهب الدينية والمواجيد الصوفية ركزوا في تفاسيرهم على ما يهمهم من تأييد المذهب أو شطحات التصوف..... وهكذا فسر كل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه.

ولقد استمرت هذه النزعة العلمية العقلية وراجت في بعض العصور رواجاً عظيماً، كما راجت في عصرنا الحاضر تفسيرات يريد أهلها من ورائها أن

يحملوا آيات القرآن كل العلوم، ما ظهر منها وما لم يظهر، كأن هذا فيما يبدو وجه من وجوه إعجاز القرآن وصلاحيته لأن يتمشى مع الزمن. وفي الحق أن هذا غلو منهم، وإسراف يخرج القرآن عن مقصده الذي نزل من أجله، ويحيد به عن هدفه الذي يرمي إليه.

ولا يفوتنا أن نذكر أنه قد وجد من العلماء من ضيق دائرة البحث في التفسير فتكلم عن ناحية واحدة من نواحيه المتعددة كابن القيم الذي أفرد كتاباً في أقسام القرآن وأبي عبيدة الذي أفرد كتاباً في مجاز القرآن والراغب الأصفهاني الذي أفرد كتاباً في مفردات القرآن وأبي جعفر النحاس الذي أفرد كتاباً في الناسخ والمنسوخ من القرآن وأبي الحسن الواحدي الذي أفرد كتاباً في أسباب نزول القرآن وغير ذلك من العلماء الذين قصدوا إلى ناحية خاصة من نواحي القرآن وتناولوها بالدراسة والتأليف[1].

(١) التفسير والمفسرون للذهبي: ١ ص ١٤٣: ١٥٠ بتصرف واختصار. ومباحث في علوم القرآن لمناع قطان ص ٣٤٠: ٣٤٢ بتصرف.

المبحث الرابع
من أشهر كتب التفسير بالمأثور
جامع البيان في تفسير القرآن للطبري

التعريف بالمؤلف:

هو أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة، وهو من أهل آمل طبرستان، ولد بها سنة ٢٢٤ هـ أربع وعشرين ومائتين من الهجرة، ورحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، سنة ست وثلاثين ومائتين، وطوف في الأقاليم، فسمع بمصر والشام والعراق، ثم ألقى عصاه واستقر ببغداد، وبقى بها إلى أن مات سنة عشر وثلاثمائة.

مبلغه من العلم والعدالة:

كان ابن جرير أحد الأئمة الأعلام، يُحكم بقوله، و يُرجع إلى رأيه لمعرفته و فضله، و كان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالقرآن، عارفاً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم...هذا هو ابن جرير في نظر الخطيب البغدادي، وهي شهادة عالم خبير بأحوال الرجال، وذكر أن أبا العباس بن سريج كان يقول: محمد بن جرير فقيه عالم، وهذه الشهادة جد صادقة ؛ فإن الرجل برع في علوم كثيرة، منها: علم القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وقد صنف في علوم كثيرة وأبدع التأليف وأجاد فيما صنف. مصنفاته: كتاب التفسير،

وكتاب التاريخ المعروف بتاريخ الأمم والملوك، وهو من أمهات المراجع، وكتاب القراءات، والعدد والتنزيل، وكتاب اختلاف العلماء، وتاريخ الرجال من الصحابة والتابعين، وكتاب أحكام شرائع الإسلام، كتاب التبصر في أصول الدين وغير هذا كثير.

ولكن هذه الكتب قد اختفى معظمها من زمن بعيد، ولم يحظ منها بالبقاء إلى يومنا هذا وبالشهرة الواسعة، سوى كتاب التفسير، كتاب التاريخ.

وقد اعتبر الطبري أبا للتفسير، كما اعتبر أبا للتاريخ الإسلامي، وذلك بالنظر لما في هذين الكتابين من الناحية العلمية العالية، ويقول ابن خلكان: إنه كان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحداً، ونقل: أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ذكره في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين، وقالوا: وله مذهب معروف، وأصحاب ينتحلون مذهبه، يقال لهم الجريرية، ولكن هذا المذهب الذي أسسه – على ما يظهر – بعد بحث طويل، ووجد له أتباع من الناس، لم يستطع البقاء إلى يومنا هذا كغيره من مذاهب المسلمين؛ ويظهر أن ابن جرير كان قبل أن يبلغ هذه الدرجة من الاجتهاد متمذهباً بمذهب الشافعي، يدلنا على ذلك ما جاء في الطبقات الكبرى لابن السبكي، من أن ابن جرير قال: أظهرت فقه الشافعي، وأفتيت به ببغداد عشر سنين. وتلقاه مني بن بشار الأحول وأستاذ أبي العباس ابن سريج، وقال السيوطي في طبقات المفسرين.

وكان أولاً شافعياً، ثم انفرد بمذهب مستقل، وأقاويل واختيارات وله أتباع ومقلدون، وله في الأصول والفروع كتب كثيرة .

وذكره صاحب لسان الميزان فقال " ثقة صادق فيه تشيع يسير وموالاه لا تضر"

ثم قال اقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ فقال: كان يضع للروافض كذا قال السليماني وهذا رجم بالظن الكاذب، بل بن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين وما تدعي عصمته من الخطأ، و لا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأتى فيه، ولاسيما في مثل إمام كبير، ولعل السليماني أراد الآتي يريد محمد بن جرير بن رستم الطبري الرافض – ولو حلفت أن السليماني ما أراد إلا الآتي لبررت، والسليماني حافظ متقن كان يدري ما يخرج من رأسه، فلا اعتقد أنه يطعن في مثل هذا الإمام بهذا الباطل.

هذا هو ابن جرير، وهذه هي نظرات العلماء إليه، وذلك هو حكمهم عليه، ومن كل ذلك تتبين لنا قيمته ومكانته[1].

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

يعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير و أشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، و إن كان في الوقت نفسه يعتبر مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي، نظراً لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، و ترجيح بعضها على بعض، ترجيحاً يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق، و يقع تفسير ابن جرير في ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير، و قد كان هذا الكتاب من عهد قريب يكاد يُعتبر مفقوداً لا وجود له، ثم قدَّر الله له الظهور والتداول. فكانت مفاجأة سارة للأوساط العلمية في الشرق و الغرب

(١) انظر وفيات الأعيان ج٤/ ص ١٩٢– ١٩١/ط. دار الفكر، ولسان الميزان جـ ٥ /ص ١٠٠ – ١٠٣ /ط. مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، وطبقات الشافعيين الكبرى لابن السبكي جـ ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٨، ومعجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٠ – ٩٤/ط دار الفكر –الثالثة، والتفسير والمفسرون للذهبى: ج١/ ص٢٠٢–٢٠٣.

أن وُجِدَت في حيازة أمير (حائل) الأمير حمود ابن الأمير عبد الرشيد من أمراء نجد نسخه مخطوطه كاملة من هذا الكتاب، طُبِع عليها الكتاب من زمن قريب، فأصبحت في يدنا دائرة معارف غنية في التفسير المأثور(١).

ولو أننا تتبعنا ما قاله العلماء في تفسير ابن جرير، لوجدنا أن الباحثين في الشرق والغرب قد أجمعوا الحكم على عظيم قيمته، واتفقوا على أنه مرجع لا غنى عنه لطالب التفسير، فقد قال السيوطي (رحمه الله):

" وكتابه " – يعني تفسير محمد بن جرير – أجَّل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على البعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين "(٢). قال النووي: " أجمعت الأُمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبري " و قال أبو حامد الإسفراييني: " لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً " (٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيميه: " وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير ابن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلَف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعه، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير(٤)

ويذكر صاحب لسان الميزان: أن ابن خزيمة استعار تفسير ابن جرير من ابن خالويه فرده بعد سنين ثم قال: " نظرتُ فيه من أوله إلى آخره فما أعلم على

(١) التفسير والمفسرون للذهبى: ج١/ ص٢٠٣.
(٢) الإتقان ج٢/ص٢٤٣.
(٣) التفسير والمفسرون للذهبى: ١/٢٠٤ ومعجم الأدباء /١٨/ ٤٢.
(٤) التفسير والمفسرون للذهبى: ١/ ٢٠٤.

أديم الأرض أعلم من ابن جرير فابن خزيمة ما شهد هذه الشهادة إلا بعد أن اطلع على ما في التفسير من علم واسع غزير . [1]

وهذا التفسير كان أوسع مما هو عليه اليوم، ثم اختصره مؤلفه–ابن جرير– إلى هذا القدر الذي هو عليه الآن، كما أن كتابه في التاريخ ظفر بمثل هذا البسط والاختصار، فابن السبكي يذكر في طبقاته كما في طبقاته الكبرى: " أن أبا جعفر قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا: كم يكون قدره ؟، فقال: ثلاثون ألف ورقة فقالوا: هذا ربما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدرة ؟، فذكر نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ماتت الهمم... فاختصره في نحو ما اختصر التفسير.

وهذا ونستطيع أن نقول إن تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأوَّلية بين كتب التفسير، أوَّلية زمنية، وأوَّلية من ناحية الفن والصناعة.

أما أوَّليته الزمنية، فلأنه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا، وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن، ولم يصل إلينا شيء منها، اللَّهم إلا ما وصل إلينا منها في ثنايا ذلك الكتاب الخالد الذي نحن بصدده.

وأما أوَّليته من ناحية الفن والصناعة، فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التي سلكها فيه مؤلفه [2] "، حتى أخرجه للناس كتاباً له قيمته ومكانته.

---

(١) المرجع السابق: ص٢٠٥.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى: ج١/ ٢٠٥.

ونريد أن نعطي هنا مثالاً لطريقة ابن جرير في تفسيره، بعد أن أخذنا فكـــرة عامة عن الكتاب، حتى يتبين للقارئ أن الكتاب واحد في بابه، سبق به مؤلفـــه غيره من المفسِّرين، فكان عمدة المتأخرين، ومرجعاً مهماً من مراجع المفسِّرين، على اختلاف مذاهبهم، وتعدد طرائقهم فنقول:

طريقة ابن جرير في تفسيره:

تتجلى طريقة ابن جرير في تفسيره بكل وضوح إذا نحن قرأنا فيه و قطعنـــا في القراءة شوطاً بعيداً فأول ما نشاهده أنه إذا أراد أن يفسِّر الآية و يستـــشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية، وإذا كان في الآية قولان أو أكثر، فإنه يعرض لكل ما قيل فيهـــا، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين.

ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعـــرض لتوجيـــه الأقـــوال، ويرجح بعضها على بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحـــال إلى ذلك، كما أنه يستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة و ترجيح ما يختار.

• إنكاره على من يفسر بمجرد الرأي:

ثم هو يخاصم بقوة أصحاب الرأي المستقلين في التفكير، ولا يزال يُشدِّد في ضرورة الرجوع إلى العلم الراجع إلى الصاحبة أو التابعين، والمنقول عنهم نقلاً صحيحا، ويرى أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح، فمثلاً عندما تكلَّم عن قوله تعالى في الآية [٤٩] من سورة يوسف: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾... نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلَف مع توجيهه للأقوال و تعرّضه للقراءات بقد ر ما يحتاج إليه تفسير الآية، ثم يعرج بعد ذلك

على مَنْ يفسِّر القرآن برأيه، و بدون اعتماد منه على شيء إلا على مجرد اللغة، فيفند قوله، ويبطل رأيه، فيقول ما نصه: "... وكان بعض مَن لا علم له بأقوال السلَفَ من أهل التأويل، ممن يُفسِّر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.. إلى: و فيه ينجون من الجدب و القحط بالغيث، و يزعم أنه مِنَ العصر الذي بمعنى المناجاة، من قول أبي زبيد الطائي:

صادياً يستغيث غير مغاث ** و لقد كان عصره المنجود

أي المقهور – ومِنْ قول لبيد:

فبات و أسرى القوم آخر ليلهم ** وما كان وقفاً بغير معصر

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة و التابعين "[1].

وكثيراً ما يقف ابن جرير مثل هذا الموقف حيال ما يروى عن مجاهد أو الضحاك أو غيرهما ممن يروون عن ابن عباس.

فمثلاً عند قوله تعالى في الآية [٦٥] من سورة البقرة: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾.. يقول ما نصه: " حدَّثني المثنى، قال حدَّثنا أبو حذيفة، قال: حدَّثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد:

---

(١) تفسير ابن جرير: ج ٦/ص ٤٥٥٩-/٤٥٦٠/ط دار السلام-الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م. تحقيق أحمد عبد الرزاق البكرى- محمد عادل محمد- محمد عبد اللطيف خلف- محمود مرسى عبد اللطيف اشراف وتقديم. أ.د/عبد الحميد عبد المنعم مدكور. نسخة مقابلة على مخطوط كامل ومراجعة على نسخة الشيخين محمود محمد شاكر – وأحمد محمد شاكر ومتممة لها.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ قال: " مُسِخَتَ قلوبهم و لم يَمْسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم، كمثل الحمار يحمل أسفاراً ". أ. هـ

ثم يعقب ابن جرير بعد ذلك على قول مجاهد فيقول ما نصه: " و هذا القول الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دلَّ عليه كتاب الله مخالف "....الخ [١].

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: في الآية: [٢٢٩] من سورة البقرة أيضاً:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ نجده يروي عن الضحاك في معنى هذه الآية: أنَ مَنْ طلَّق لغير العِدَّة فقد اعتدى وظلم نفسه، و مَنْ يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون.

ثم يقول: " وهذا الذي ذُكر عن الضحاك لا معنى له في هذا الموضوع، لأنه لم يجر للطلاق في العِدَّة ذكر فيقال: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾، و إنما جرى ذكر العدد الذي يكون للمطلَّق فيه الرجعة و الذي لا يكون له فيه الرجعة، دون ذكر البيان عن الطلاق للعِدَّة " أ. هـ[٢].

و هكذا نجد ابن جرير في غير موضع من تفسيره، ينبري للرد على مثل هذه الآراء التي لا تستند على شيء إلا على مجرد الرأي أو محض اللغة.

موقفه من الأسانيد:

ثم إن ابن جرير و إن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه في الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح و لا تضعيف، لأنه كان يرى – كما هو مقرر في أصول الحديث – أنَّ مَن أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند

(١) تفسير ابن جرير: ج١/ص٤٥٩– ح ١١٤٣.

(٢) تفسير ابن جرير: ج٢/ ص١٢٩٤.

ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة، ومع ذلك فابن جرير يقف من السند أحياناً موقف الناقد البصير، فيعدل من يعدل من رجال الإسناد، ويجرح من يجرح منهم، ويرد الرواية التي لا يثق بصحتها، فمثلاً نجده عند تفسيرقوله تعالى: في الآية [٩٤] من سورة الكهف: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾... يقول ما نصه: " روى عن عكرمة في ذلك – يعني في ضم سين "سداً" و فتحها – ما حدَّثنا به أحمد بن يوسف.

قال: حدَّثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن هارون، عن أيوب، فيقول عن عكرمة قال: ...ثم يعقب على هذا السند – وأما ما ذكره عن عكرمة فى ذلك فان الذى نقل عن أيوب "هارون "وفى نقله نظر، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقاة أصحابه ". أ. هـ[1].

تقديره للإجماع:

كذلك نجد ابن جرير في تفسيره يُقَدِّر إجماع الأُمَّة، و يعطيه قدرا كبيراً في اختيار ما يذهب إليه من التفسير، فمثلاً عند قوله تعالى في الآية [٢٣٠] من سورة البقرة: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾.

يقول ما نصه: " فإن قال قائل: فأي النكاحين عنى الله بقوله: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾؟ النكاح الذي هو جماع ؟ أم النكاح الذي هو عقد تزويج ؟ قيل: كلاهما، وذلك أن المرأة إذا نكحت زوجاً نكاح تزويج ثم لم يطأها في ذلك النكاح ناكحها و لم يجامعها حتى يطلقها لم تحل للأول، وكذلك إن

(١) تفسير ابن جرير: ج٧/ ص ٥٤١٧.

وطئها واطئ بغير نكاح لم تحل للأول، لإجماع الأُمَّة جميعاً، فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن تأويل قوله: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾، نكاحاً صحيحاً، ثم يجامعها فيه، ثم يطلقها، فإن قال: فإن ذكر الجماع غير موجود في كتاب الله تعالى ذكره، فما الدلالة على أن معناه ما قلت ؟ قيل: الدلالة على ذلك إجماع الأُمَّة جميعاً على أن ذلك معناه "(١).

موقفه من القراءات:

كذلك نجد ابن جرير يعني بذكر القراءات و ينزلها على المعاني المختلفة، وكثيراً ما يرد القراءات التي لا تعتمد على الأئمة الذين يعتبرون عنده و عند علماء القراءات حجة، و التي تقوم على أصول مضطربة مما يكون فيه تغيير و تبديل لكتاب الله، ثم يتبع ذلك برأيه في آخر الأمر مع توجيه رأيه بالأسباب، فمثلاً عند قوله تعالى في الآية [٨١] من سورة الأنبياء: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾. يذكر أن عامة قراء الأمصار قرأوا " الريح " بالنصب على أنها مفعول لـ "سخرنا" المحذوف، و أن عبد الرحمن الأعرج قرأ "الريح" بالرفع على أنها مبتدأ ثم يقول: و القراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه.

ولقد يرجع السبب في عناية ابن جرير بالقراءات و توجيهها إلى أنه كان من علماء القراءات المشهورين، حتى إنهم ليقولون عنه: إنه ألَّف فيها مؤلَّفاً خاصاً

(١) تفسير ابن جرير: ج٢ ص ١٢٩٦.

في ثمانية عشر مجلداً، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور(١).

موقفه من الإسرائيليات:

ثم نجد ابن جرير يأتي في تفسيره بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلي، يرويها بإسناده إلى كعب الأحبار، ووهب بن منبِّه، وابن جريج، والسدى، وغيرهم، ونراه ينقل عن محمد بن إسحاق كثيراً مما رواه عن مسلمة النصاري. ومن الأسانيد التي تسترعى النظر، هذا الإسناد: حدَّثني ابن حميد، قال: حدَّثني ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أبي عتاب – رجل من تغلب – كان نصرانياً عمراً من دهره ثم أسلم بعد فقرأ القرآن وفقه في الدين، وكان فيما ذكر، أنه كان نصرانياً أربعين سنه ثم عمر في الإسلام أربعين سنه.

يذكر ابن جرير هذا الإسناد، ويروي لهذا الرجل النصراني الأصل خبراً عن آخر أنبياء بني إسرائيل، عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [٧] من سورة الإسراء: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (٢). فيقول: "كان آخر أنبياء بنى اسرائيل نبيا بعثه الله اليهم، فقال لهم يا بنى اسرائيل، إن الله يقول لكم: أنى قد سلبت أصواتكم، وأبغضتكم بكثرة أحداثكم: فهموا به. فقال الله تبارك وتعالى له: ائتهم واضرب لى ولهم مثلا، فقل لهم: إن الله تبارك وتعالى يقول لكم: اقضوا بينى وبين كرمى!ألم أختر له البلاد،

(١) التفسير والمفسرون للذهبى: ١/ ٢٠٩- ٢١٠، ومعجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٥. وتفسيرابن جرير: ٧/٥٧٢٧-٥٧٢٨.

(٢) تفسير ابن جرير: ج ٦/ص ١٥٢٢/ح٢١٨٨٣.

وطيبت له المدرة، وحظرته با لسياج، وعرشته السويك والسياج والعوسج، وأحطته بردائى، ومنعته من العالم. (وفضلته، فلقينى بالشوك الخروع، وكل شجرة لاتؤكل؟ ! ما لهذا اخترت البلدة، ولاطيبت البذرة، ولا حظرته بالسياج، ولاعرشته السويق، لاحطته بردائى، ولامنعته من العالم !) فضلتكم وأتممت عليكم نعمتى، ثم استقبلتمونى بكل ما أكره من معصيتى وخلاف أمرى! لمه أن الحمار ليعرف مذوده، لمه إن البقر لتعرف سيدها ! حلفت بعزتى العزيزة، وبزراعى الشديدة لآخذن ردائى،ولأمرجن الحائط، ولأجعلنكم تحت أرجل العا لم. قال: فوثبوا على نبيهم فقتلوه، فضرب الله عليهم الذل، ونزع منهم الملك، فليسوا فى أمة من الأمم الا وعليهم ذل وصغار جزية يؤدونها، والملك فى غيرهم من النا س، فلن يزالوا كذلك أبدا، ما كا نوا على ماهم عليه.

كما نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [٩٤] من سورة الكهف: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

يسوق هذا الإسناد: حدَّثنا ابن حميد قال: حدَّثنا سلمة قال: حدَّثنا محمد ابن إسحاق قال: حدَّثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب فمن قد أسلم، مما توارثوا من علم ذي القرنين أنَّ ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر، اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح..الخ "[1].

.... وهكذا يكثر ابن جرير من رواية الإسرائيليات، و لعل هذا راجع إلى ما تأثر به من الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة.

وإذا كان ابن جرير يتعقب كثيراً من هذه الروايات بالنقد، فتفسيره لا يزال يحتاج إلى النقد الفاحص الشامل، احتياج كثير من كتب التفسير التي اشتملت

(١) تفسير ابن جرير: ج ٧/ ص ٥٤١٩/ح٢٣١٣١

على الموضوع و القصص الإسرائيلي، على أن ابن جرير قد ذكر لنا السند بتمامه في كل رواية يرويها، وبذلك يكون قد خرج من العهدة، وعلينا البحث والتنقيح.

انصرافه عما لا فائدة فيه:

وكذلك نجد ابن جرير لا يهتم في تفسيره بالأمور التي لا تغني و لا تفيد، فنراه مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآيات (١١٢: ١١٤) من سورة المائدة: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ يعرض لذكر ما ورد من الروايات في نوع الطعام الذي نزلت به مائدة السماء.. ثم يعقب على هذا بقوله: " وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فإن يقال: كان عليها مأكول، و جائز أن يكون سمكاً و خبزاً، وجائز أن يكون ثمراً من الجنة، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به، إذا أقرَّ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل "[1].

كما نراه عند تفسير قوله تعالى في الآية [٢٠] من سورة يوسف: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ يعرض لمحاولات قدماء المفسِّرين في تحديد عدد الدراهم، هل هي عشرون ؟ أو اثنان و عشرون ؟ أو أربعون.. إلى آخر ما ذكره من الروايات... ثم يعقب على ذلك كله بقوله: " والصواب من القول أن يقال: إنَّ الله – تعالى ذكره – أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع

(١) تفسير ابن جرير: ج٤ ص ٣١٢٠

عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول (ﷺ)، وقد يحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين، وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر، وأي ذلك فإنها كانت معدودة غير موزونة، وليس في العلم بملغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في جهل به دخول ضُرَّ فيه، والإيمان بظاهر التنزيل فرض، وما عداه فموضوع عنا وتكلف علمه " أ. هـ [1].

احتكامه إلى المعروف من كلام العرب:

وثمة أمر آخر سلكه ابن جرير في كتابه، ذلك أنه اعتبر الاستعمالات اللغوية بجانب النقول المأثورة و جعلها مرجعاً موثوقاً به عند تفسيره للعبارات المشكوك فيها، وترجيح بعض الأقوال على بعض. فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [٤٠] من سورة هود: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾... الآية – نراه يعرض لذكر الروايات عن السلف في معنى لفظ "التنور" فيروي لنا قول من قال: إن التنور عبارة عن وجه الأرض، وقول من قال: إنه عبارة عن تنوير الصبح، وقول من قال: إنه عبارة عن أعلى الأرض وأشرفها، وقول من قال: إنه عبارة عما يختبز فيه...ثم يقول بعد أن يفرغ من هذا كله: " وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله " التنور" قول من قال: التنور: الذي يختبز فيه، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، كلام الله لا يوجه إلا الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به... " أ. هـ[2].

---

(١) تفسير ابن جرير: ج ٦/ص ٤٤٨٩، ٤٤٩٠.

(٢) تفسير ابن جرير: ج٦/ ص ٤٣٣٥، ٤٣٣٦.

رجوعه إلى الشعر القديم:

كذلك نجد ابن جرير يرجع إلى شواهد من الشعر القديم بشكل واسع، متبعاً في هذا ما أثاره ابن عباس في ذلك، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [٢٢] من سورة البقرة: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾... يقول ما نصه: قال أبو جعفر: والأنداد جمع ند، والند: العدل و المثل، كما قال حسان ابن ثابت:

أتهجوه و لست له بند ** فشركما لخيركما الفداء

يعني بقوله: "ولست له بند": " لست له بمثل و لا عدل، كل شيء كان نظيراً لشيء وشبيهاً فهو له ند "[1] ثم يسوق الروايات عمن قال ذلك من السلف.

اهتمامه بالمذاهب النحوية:

كذلك نجد ابن جرير يتعرض كثيراً لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين في النحو والصرف، و يوجه الأقوال، تارة على المذهب البصري، وأخرى على المذهب الكوفي، فمثلاً عند قوله تعالى في الآية [١٨] من سورة إبراهيم: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾... يقول ما نصه:

" اختلف أهل العربية في رافع "مثل" فقال بعض نحوي البصرة: إنما هو كأنه قال: ومما نقص عليكم مثل الذين كفروا، ثم أقبل يفسره كما قال: مثل الجنة... وهذا كثير. وقال بعض نحويي الكوفيين: إنما المثل للأعمال، ولكن العرب تقدم

(١) تفسير ابن جرير: ١/ص ٢٥٦.

الأسماء لأنها اعرف، ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صحابه، و معنى الكلام: مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد...الخ ".[1]

وهكذا يكثر ابن جرير في مناسبات متعددة من الاحتكام إلى ما هو معروف من لغة العرب، ومن الرجوع إلى الشعر القديم يستشهد به على ما يقول ومن التعرض للمذاهب النحوية عند ما تمس الحاجة، مما جعل الكتاب يحتوي على جملة كبيرة من المعالجات اللغوية و النحوية التي أكسبت الكتاب شهرة عظيمة.

والحق أن ما قدمه ابن جرير في تفسيره من البحوث اللغوية المتعددة والتي تعتبر كنزاً ثميناً ومرجعاً مهماً في بابها، أمر يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب، معرفة لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ. والبحوث اللغوية التي عالجها ابن جرير في تفسيره كانت وسيله للتفسير، يتوصل بها إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض – وأحياناً – يوفق بها بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللغوية بحيث يزيل ما يتوهم من التناقض بينهما.

• معالجته للأحكام الفقهية:

كذلك نجد في هذا التفسير آثاراً للأحكام الفقهية، يعالج فيها ابن جرير أقوال العلماء ومذاهبهم، ويخلص من ذلك كله برأي يختاره لنفسه، ويرجحه بالأدلة العلمية القيمة، فمثلاً نجده عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [٨] من سورة النحل: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ نجده يعرض لأقوال العلماء في حكم أكل لحوم الخيل و البغال و الحمير، ويذكر قول كل قائل بسنده، وأخيراً يختار قول من قال: إن الآية لا تدل على حرمة شيء

(١) تفسير ابن جرير: ج١٣/ ص ٤٧٩٠.

من ذلك، ووجه اختياره هذا فقال ما نصه: [1]، والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني – وهو أن الآية لا تدل على الحرمة – وذلك أنه لو كان فى قوله – تعالى ذكره – ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذا كانت للركوب للأكل، لكان في قوله: ﴿فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفء للركوب. و في إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ جائز حلال غير حرام، دليل واضح على أن أكل ما قال: ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ جائز حلال غير حرام، إلا بما نص على تحريمه، أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسول الله (ﷺ)، فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء. وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الأهلية بوحيه إلى رسول الله (ﷺ) [2].

(١) تفسير ابن جرير: ج٦/ص ٤٩٥٤.

(٢) راجع التفسر والمفسرون للذهبى: ١/ ص٢٠٢: ٢١٥. بتصرف، ومباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع قطان: ص ٣٧٤، ٣٧٥. بتصرف.

المبحث الخامس
من أشهر كتب التفسير بالرأي المحمود

تعريف التفسير بالرأي:

وهو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأي ويطلق على الرأي هنا الاجتهاد.

فإن كان الاجتهاد موفقاً أو مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه بعيداً عن الجهالة والضلالة، فالتفسير به محمود وإلا فمذموم.

والأمور التي يجب استناد الرأي إليها في التفسير سبق ذكرها.

الاختلاف في جواز التفسير بالرأي:

يختلف العلماء في التفسير بالرأي بين مجيز ومانع واليك الأدلة:

أولاً: أدلة المانعين:

١- قالوا ان التفسير بالرأي قول على الله بغير علم والقول على الله بغير علم منهي عنه فالتفسير بالرأي منهي عنه. دليل الصغرى أن المفسر بالرأي ليس متيقناً أنه مصيب وقصارى أمره أن يظن، والقائل بالظن قائل على الله بغير علم. ودليل الكبرى قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ المعطوف على ما قبله من المحرمات في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

لكن رد المجيزون على هذا الدليل بمنع الكبرى لأن القائل بالظن فيما لا يوجد عليه نص قاطع، ولا دليل قطعي منه سبحانه على صحة العمل بهذا الظن كقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [1] وكقوله (ﷺ): "اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، واذا حكم فا جتهد ثم أخطأ فله أجر".[2]

٢- الحديثان الآتيان:

- ما يرويه الترمذي عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال: " اتقوا الحديث على إلا ما علمتم فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار". ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.[3]
- وما يرويه أبو داود عن جندب قال: قال رسول الله (ﷺ) من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " [4]

وأجاب المجيزون عن هذين الحدثين بعدة أجوبه.

أولها: أنهما محمولان على من قال برأيه في نحو مشكل القرآن ومتشابهه مما لا يعلم إلا من طريق النقل عن النبي (ﷺ) وأصحابه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه بشرح العسقلانى: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب ٢١- أجر الحاكم اذا اجتهد فأصاب، أو أخطأ/ح ٧٣٥٢/ ج١٣/ص٣٣٠.

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله (ﷺ) /باب ماجاء فى الذى يفسر القرآن برأيه/ح٢٩٥١/ج٥/ص١٩٩/ وقال الترمذى هذا حديث حسن.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه: كتاب العلم / باب الكلام فى كتاب الله بغير علم /ح٣٦٥٢/ج٣/ ص٣١٦. والترمذى: كتاب تفسير القرآن/باب ماجاء فى الذى بفسر القرآن برأيه/ ح٢٩٢٥/ ج٥/ ص٢٠٠.

ثانيهـــا: أنهما محمولان على من قال في القرآن قولاً وهو يعلم أن الحق خلافه، كأصحاب المذاهب الفاسدة الذين يتأولون القرآن الكريم على وفق هواهم.

ثالثها: أنهما محمولان على قول من يأخذ بظاهر الكلام من غير أن يستند إلـــى نقل أو يكلف نفسه البحث عن مبهمات القرآن، وما فيه مـــن حـــذف واضـــمار وتقديم وتأخير فالنقل لا بد منه لكل مفسر أما التوسع في الفهم واســـتنباط الآراء فهو خطوة أخرى بعد النقل لأن الأخذ بظاهر العربية وحده غير كاف ولا سديد. هذه احتمالات في الحديثين، والدليل اذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

٣- ما ورد عن الصحابة والتابعين من أنهم كانوا يتحرجون عن القـــول فـــي القرآن بآرائهم، ومن ذلك ما روي عن الصديق (ﷺ) أنه قال: " أي ســـماء تظلني؟ وأي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم ؟ " وما ورد عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسيرآية من القرآن قال أنا لا أقول في القرآن شيئاً.

وأجاب المجيزون على ذلك بقولهم:

أولاً: بأن إحجامهم عن القول في القرآن كان ورعاً خـــشية ألا يـــصيبوا عـــين اليقين، والورع: ترك ما لا بأس به حذراً من الوقوع فيما به بأس.

ثانياً: أن إحجامهم يحتمل أنه مقيد بما لم يعرفوا وجه الـــصواب فيـــه، أمـــا إذا عرفوا وجه الصواب فإنهم لا يمتنعون ولو كان وجه الصواب ظنياً لا قطعياً – هذا أبو بكر نفسه يفتي في الكلالة ويقول: أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان الكلالة كذا وكذا.

ثالثاً: إن إحجامهم يحتمل التقيد بما إذا قام غيرهم عنهم بواجب تفسير القـــرآن وبيانه. أما إذا انحصرت المسئولية فيهم فيقول أنهم لا يمتنعون وقتئذ وإلا كانوا كاتمين للعلم وآثمين. حاشاهم من ذلك حاشاهم.

أدلة المجيزين للتفسير بالرأي:

استدل المجيزون للتفسير بالرأي بعدة أدلة من أهمها:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (١) ويقول: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢). ويقول: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾(٣).

وجه الاستدلال: أن الله تعالى حث على تدبر القرآن والاعتبار بآياته وهذا يدل على أن أولي الألباب بما لهم من العقل السليم واللب الصافي عليهم أن يتأولوا ما لم يستأثر الله بعلمه. إذ أن تدبر الألفاظ فرع الفهم والتفقه في كتاب الله تعالى.

ثانيها: أن الرسول (ﷺ) قال في دعائه لابن عباس: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل "(٤). فلو كان التأويل مقصوراً على السماع للفظ القرآن لما كان هناك فائدة لتخصيصه فدل على أن التأويل خلاف النقل وإذن فهو التفسير بالرأي.

ثالثها: لو كان التفسير بالرأي غير جائز لتعطل كثير من الأحكام واللازم باطل ووجه الملازمة أنه (ﷺ) لم يذكر تفسير كل آية والمجتهد مأجور وإن أخطأ ما دام أنه قد استفرغ وسعه ولم يهمل الوسائل الواجبة في الاجتهاد وكان غرضه الوصول إلى الحق والصواب.

---

(١) سورة محمد الآية: ٢٤.

(٢) سورة ص: الآية ٢٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٤) أخرجه البخارى بشرح العسقلانى: كتاب فضا ئل الصحابة/ باب ذكر ابن عباس (رضي الله عنه)/ ح٣٧٥٦/ج٧/ص١٢٦، بلفظ: اللهم علمه الحكمة-ورواية أخرى: اللهم علمه الكتاب.

منهج المفسرين بالرأي:

يجب على من يحاول أعلى مراتب التفسير بالرأي أن يأخذ حذره وأن يتذرع بكل العلوم التي ذكرناها آنفاً ووجب عليه أن ينهج منهج الصواب.

حكم التفسير بالرأي: وتفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل حرام ولا يجوز تعاطيه قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (١)

وقال: (ﷺ) من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار. وفي لفظ من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ.(٢)

ولهذا تحرج السلف عن تفسير ما لا علم لهم به فقد روى عن يحيى بن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: " أنا لا أقول في القرآن شيئاً " .

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام: " أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) سئل عن الأب في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ (٣). فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ؟ إذا قلت في كلام الله ما لم أعلم فهذه الآثار وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم من الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، أما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه. ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير – ولا منافاة – لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٣٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة عبس: الآية ٣١.

الواجب على كل إنسان ويكون الأمر أشد نكيراً لو تـرك التفـسير بالمـأثور الصحيح وعدل عنه إلى القول برأيه. (١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: في الجملة من عدل عـن مـذاهب الـصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً بل مبتدعاً، لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله (ﷺ). (٢)

أهم كتب التفسير بالرأي الجائز

- التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للفخر الرازي-

التعريف بالمؤلف: هو محمد بن عمر بن حسين بن الحسن بن علي، يكنى بأبي عبد الله، وقد اشتهر بلقبه " فخر الدين الرازي " وكان يعرف بابن الخطيـب أو ابن خطيب الري لأن أباه كان خطيب الري وواعظها ولد الرازي بمدينة الـري في رمضان سنة ٥٤٤ هـ أو سنة ٥٤٣ هـ على خلاف بين المؤرخين وكانت وفاته (رحمه الله) سنة ٦٠٦ هـ بالري ويقال في سبب وفاته: أنه كان بينـه وبـين الكرامية خلاف كبير وجدل فى أمور العقيدة، فكان ينال منهم وينالون منه سـباً وتكفيراً وأخيراً سموه فمات على أثر ذلك(٣).

---

(١) راجع التفسير والمفسرون للذهبى: ١/ص٢٤٥: ٢٤٦ بتصرف، والاتقان للسيوطى: ٢/ ص٢٢٩، ٢٣١ بتـصرف، ومباحـث فـى علـوم القـرآن للـشيخ منـاع قطـان: /٣٦٤،٣٦٣،٣٦٢، بتصرف، ومنـا هـل العرفـان للزرقـانى/٢/ص٢٩، ٥٤: ٦٠. باختصار وتصرف.

(٢) راجع الاتقان للسيوطى: ٢/ص٢٢٨، ومباحث فى علوم القرآن للـشيخ منـاع قطـان: ص٣٦٤.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبى: ٢٧٦/١، ٢٧٧بتصرف، ووفيات الأعيان/ج٤/ص٢٥٢/ط دار الفكر.

التعريف بهذا التفسير:

اشتهر الفخر الرازي بالتفسير وإن كان مقدامه في كل علم من علوم الإسلام لا يقل عن مقدامه في التفسير، إلا أن كتابه في التفسير كان المظهر الأكبر لكل علومه، إذ إنه يعتبر موسوعة علمية أودع فيها مؤلفة طائفة كبيرة من علوم الإسلام، وجمع فيها الكثير من أقوال المتقدمين والمتأخرين من أئمة اللغة والتفسير والكلام وغيرها من المعارف والعلوم، فحيثما أردت فكرة في بحث إسلامي وجدتها بالتفصيل في هذا الكتاب أو وجدت إشارة تومئ إلى تفصيلها في موضع آخر من كتبه، فهو ينتهز ورود لفظه ليدخل في بحث منظم له تفريعات وتشقيقات كثيرة، وهذا أثر من آثار ثقافته الواسعة التي ظهرت في فهمه للقرآن الكريم يقول القاضي أبو الحسن علي السبكي عن تفسير الرازي فيه مع التفسير كل شيء ونقل عن أبي حيان [1] أنه قال في البحر المحيط: " جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء إلا التفسير.

هذا وإن تفسير الفخرالرازى ليحظى بشهرة واسعة ين العلماء وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح شتى من العلم. ثم أنه كسني يرى ما يراه أهل السنة ويعتقد يكل ما يقرونه من مسائل عن الكلام – وكان يرد على أقوال المعتزلة رداً لا يراه البعض كافياً ولا شافياً.

فهذا هو الحافظ بن حجر يقول عنه في لسان الميزان " وكان يعاب بإيراد الشبهة الشديدة ويقصر في حلها حتى قال بعض المغاربة " يورد الشبهة نقداً ويحلها نسئة "[2].

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبى: ١/ص٢٨١.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى: ج ١ /ص٢٨٠، و لسان الميزان: ٤٢٧/٤.

والفخر الرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه لمذهب الشافعي. والكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام وفي علم الكون والطبيعة إذ أن هذه الناحية هي التي غلبت عليه حتى كادت تقلل من أهمية الكتاب كتفسير للقرآن الكريم. [1].

موقفه من الإسرائيليات:

رفض الرازي كل رواية تعرضت لتفصيلات سكت عنها القرآن الكريم ولم يجيء حديث صحيح عن رسول الله (ﷺ) ولم يكن للعلم به فائدة، فمثلاً يقول في تفسير قوله تعالى: " ولا تقربا هذه الشجرة " اختلفوا في الشجرة ما هي فروى مجاهد وسعيد عن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما): أنها البر والسنبلة، وروي السدي عن ابن عباس وابن مسعود: أنها الكرم، وعن مجاهد وقتادة: أنها التين وقال الربيع بن أنس: كانت شجرة من أكل منها أحدث، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث، ويعلق الرازي على ذلك بقوله: " واعلم أنه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين، فلا حاجة أيضاً إلى بيانه لأنه ليس المقصود في الكلام لا يجب على الحكيم أن يبينه بل ربما كان بيانه عبثاً[2].

ويقول في معرض الكلام عن الحجر الذي أمر الله موسى أن يضربه بعصاه (واختلفوا في صفة الحجر فقيل: كان من رخام وكان ذراعاً في راع، وقيل مثل رأس الإنسان).

ويعلق الرازي على هذا بقوله: والمختار عندنا تفويض علمه إلى الله تعالى[3].

---

(١) التفسير اوالمفسرون للذهبى: ج ١/ص ٢٧٦: ٢٨١ باختصار وتصرف، ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع قطان: ص٣٧٨، ٣٧٩. بتصرف.

(٢) تفسير الرازي ج٣ ص ٥ ، ٦.

(٣) المرجع السابق ص ٩٥.

المبحث السادس
التفسير العلمي
الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري

المراد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يحكم بالاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن الكريم ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها من التفسير العلمي " الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري "[1].

كان الشيخ طنطاوي جوهري مغرماً بالعجائب الكونية، وكان مدرساً بمدرسة دار العلوم بمصر، يفسر بعض آيات القرآن الكريم على طلبته، كما كان يكتب في بعض الصحف ثم خرج بمؤلفه في التفسير " الجواهر في تفسير القرآن ".

وقد عنى في هذا التفسير عناية فائقة بالعلوم الكونية وعجائب الخلق، ويقرر في تفسيره أن في القرآن الكريم من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، ويهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن الكريم التي ترشد إلى علوم الكون ويحثهم على العمل بما فيها، وبفضلها على غيرها في الوقت الحاضر، حتى على فرائض الدين فيقول: يا ليت شعري: لماذا لا نفعل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات المواريث ؟ ولكني أقول: الحمد لله ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض لأنه فرض كفاية فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله – تعالى – وهي فرض عين على كل قادر ويأخذ الغرور منه مأخذه، فينحى باللائمة على المفسرين السابقين، ويقول: إن هذه العلوم التي أدخلناها في

(١) ولد عام ١٢٨٧ هـ وتوفى عام ١٣٥٨ هـ عن كتاب الأعلام للزركلي: جـ٣ /ص ٢٣٠ /ط ثانية – دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٦.

تفسير القرآن الكريم هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام، فهذا زمان انقلاب، الحقائق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والمؤلف يخلط في كتابه خلطاً، فيضع في تفسيره صور النبات والحيوانات ومناظر الطبيعة، وتجارب العلوم كأنه كتاب مدرس في العلوم، ويشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته، وعن إخوان الصفا في رسائلهم ويستخدم الرياضيات، ويفسر الآيات تفسيراً يقوم على نظريات علمية حديثة، وقد أساء الشيخ طنطاوي جوهري بهذا إلى التفسير إساءة بالغة من حيث يظن أنه يحسن صنعاً ولم يجد تفسيره قبولاً لدى كثير من المثقفين، لما فيه من تعسف في حمل الآيات على غير معناها، ولذا وصف هذا التفسير، بما وصف به تفسير الفخر الرازي فقيل عنه " فيه كل شيء إلا التفسير "[1].

(١) انظر مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع قطان: ص ٣٨٢،٣٨٣. باختصار وتصرف.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات. والصلاة والسلام علـــى رســـول الله وعلى آله وأصحابه وبعد

من خلال هذا البحث (مباحث فى علوم القرآن).

نستنتج ما يلي:

أولاً: أن التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية.

ثانياً: يجب على المفسر أن يتبع المنهج القويم في تفسيره وأن يكـــون جامعـــاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشرا علماً.

ثالثاً: مر التفسير بمراحل الرواية ومنها التدوين الذى مر بخطوات متعددة إلـــى أن وجدنا كل من برع في فن من الفنون يغلب على تفسيره فنه الذي برع فيـــه وأيضاً وجد من العلماء من قصد موضوعاً خاصاً من القرآن تناوله بالدراســـة والتأليف.

رابعاً: التفسير بالمأثور هو: ما روى من تفسير القـــرآن بـــالقرآن أو بالـــسنة الصحيحة عن الرسول (ﷺ) أو بأقوال الصحابة أو التابعين المجمع عليهما.

خامساً: التفسير بالرأي المحمود هو: المستند إلى ما يجب الاستناد إليه بعيد عن الجهالة والضلالة والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين.